وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قالوا اضغاث احلام
بل هو شاعر اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من
انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد
يكون تنزيلا من الله تعالى لا فواههم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من
ثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع افسد من الثالث فليأتنا بآية كما ارسل الاولون
تشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان
رسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك ٢ صلى الله عليه وسلم
بمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا
الآيات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو
ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا
ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم
ان الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك
يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم
ردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة
انه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل
فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب
ماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا
انا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولون هلا كان ملكا لا يطعم و
يعتقدون ان الملائكة لا يموتون او يسمون حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا
صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه
القتال وصدقني سن بكره فانجيناهم ومن نشاء هم المؤمنون ومن في
واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم
صيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي
ون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء
والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما
قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع
الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك
ظالمة وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس
وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم
نادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم
ندم فظاهر الآية يدل على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور
القرى التي اهلكها الله بهذه الآية فلما احسوا بأسنا فلما علموا شدة عذابنا
علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها اذا هم منها يركضون ركضوا من ديارهم
ب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها
منين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة
ادرجهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف
من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من

ثم من المؤمنين او يجعلون خلقا آنا ان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه
ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيجدونه في نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة ومساكنكم
لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما
جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره
وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر
كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشير ونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا
اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما
الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة
الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قال فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة
قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى
قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك
مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين الحصيد الزرع
المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول
جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده
كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت
كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان
نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا
المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية
والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق
لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ
اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت عنه
فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو المرأة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح ٧ الولد وقيل
وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون
بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو
واللعب بل من عادتنا وحكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل ٧ وموجب
بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه
جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما
تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله
٥ سأترك منزلي لبني تميم ٥ والحق بالحجاز فاستريحا ٥
وقرئ فيدمغه وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور

Copyright © King Saud University